اعتصاب الفحامين ونتائجهُ

الفحّام في اللغة صانع الفحم وبائعهُ وقد خصصناهُ في هذه المقالة بمستخرج الفحم الحجري من طبقات الارض

ان اهم مسألة تشغل البال في هذه الايام مسألة اعتصاب الفحّامين لان الفحم الحجري قوام الصناعة والحركة في هذه الايام فاذا اعتصبوا كلهم وابطلوا استخراج الفحم وقفت المعامل الصناعية والسكك الحديدية والسفن البخارية وبطل الطبخ والاستدفاء والاستصباح · واذا استمروا على الاعتصاب تقوّض عمران اوربا واميركا الصناعي وتفوقها السياسي ومات سكانهما جوعاً وعطشاً

ومن المرجح ان يداوى هذا الداء قبل صدور المنتطف او قبل طبع هذه المقالة ولكن برأهُ يكون على عثم لان سببهُ كامن في اصل العمران الاوربي ويتعذر نزعهُ ما دام ارباب الاموال يرفلون في نعم الثنى والعمّال يفحشون المشاق ولا يرون امامهم الاَّ شظف العيش وزعماؤهم يمنونهم باصلاح حالهم اذا هم اضربوا عن العمل واضطروا اصحاب الاعمال الى زيادة اجورهم لا لان حال الاغنياء الآن اصلح مما كان ولا لانهم اتعم بالاً من الذين يعيشون بتعب ايديهم وعرق جبينهم كلاَّ فان كل عامل اتعم بالاً من روكفلر وكارنجي وقندربلت اصحاب الملايين الكثيرة لانهُ يأكل بلذة ولو خبزاً قفاراً وينام قرير العين ولو على بساط الارض واما اولئك فاهتمامهم بحشد الاموال ورفاهة العيشة اقلق بالهم واتلف صحتهم بل لان زعماء الاشتراكية قوّضوا بتعاليمهم دعائم السلطات التي كانت تفرق بين طوائف الناس واصحاب السلطات انفسهم تنازلوا عن كثير من حقوقهم الموروثة إما طوعاً واما كرهاً فمهدوا السبيل للذين كانوا تحت سلطتهم ليطالبوهم باكثر مما لهم ويحاولوا المساوي بهم

والسبب الخاص الذي دعا الى اعتصاب الفحامين الانكليز هو ان اصحاب مناجم الفحم يجعلون اجرة الفحام مناسبة لما يستخرجهُ منهُ وطبقات الفحم غير منتظمة في سمكها وسهولة استخراج الفحم منها فقد يتيسر للفحام الواحد ان يستخرج ثلاثة اضعاف ما يستخرجهُ فحام آخر ولو كانا في مخر واحد واهتمامهما باستخراج الفحم اهتماماً واحداً بل قد يعمل الفحام نهارهُ كلهُ ولا يستخرج من الفحم ما اجرتهُ تكفي لسد رمقهِ ويمضي عليهِ يوم بعد يوم وهو كذلك فيتضوّر جوعاً هو

وعيالهُ على حين ان جارهُ وهو فحام مثلهُ يقع لهُ جانب من المنجم فحمهُ كثير سهل الاستخراج فينال من الاجرة ما يزيد على حاجتهِ

فلما تألفت عصابات الفحامين ادَّعت ان همها الاكبر مداواة هذا الداء لمنع الحيف عن الفحام الذي يقع لهُ جانب من المنجم لا فحم فيهِ او فحمهُ قليل او عسر الاستخراج فطلبت ان لا تقلَّ اجرة الفحام عمَّا يلزم لمعيشتهِ ولو لم يستخرج شيئاً من الفحم. وقالت ان الاجرة يجب ان تبقى كما هي حسب ما يستخرجهُ الفحام من الفحم ولكن يجب ان لا تنقص في حال من الاحوال عن كذا وكذا في اليوم. وهذا هو الحد الادنى الذي طلبهُ الفحامون واجتهدت الحكومة الانكليزية في جعل اصحاب المناجم يتبايعون بهِ فقبل بهِ بعضهم ولم يقبل بهِ البعض الآخر حتى كتابة هذه السطور

وحجة اصحاب المناجم الذين لم يقبلوا بالحد الادنى ان الفحامين يعملون تحت الارض فتتعذر مراقبتهم ومتى علموا انهم يأخذون الاجرة الكافية لمعيشتهم سواء استخرجوا فحماً او لم يستخرجوا تكاسل كثيرون منهم ولاسيما في الاماكن التي يصعب استخراج الفحم منها فيخسر اصحاب المناجم خسارة كبيرة قد تلجئهم الى اقفالها

ومما يزيد الخطب ان الاتفاق على الحد الادنى اليوم لا يستمر زماناً طويلاً. فقد اتفق الفحامون واصحاب مناجم الفحم في جنوبي ويلس على مثل ذلك في ابريل سنة ١٩١٠ وتعاهدوا على العمل بهذا الاتفاق خمس سنوات ولكن الفحامين تقضوهُ الآن واضربوا عن العمل وليس في البلاد سلطة شرعية تضطرهم الى الاحتفاظ بعهدهم على ما يظهر. وهذا شأن الفحامين في اسكتلندا الذين اضربوا عن العمل قبلما انتهت مدة الاتفاق الذي عقدوهُ مع اصحاب المناجم

وقد كان الجوع والحاجة يضطران العمال الى الاستمرار على العمل او الرجوع اليهِ عاجلاً بعد الاضراب عنهُ. اما الآن وقد تألفت عصابات العمال (او نقابات العمال كما تسمَّى في هذا القطر) وجمعت من العمال اموالاً تنفقها عليهم وقت اضرابهم عن العمل فصار يسهل عليهم ان يستمروا في الاعتصاب الى ان ينفد ما عندهم من المال او يضطر اصحاب المناجم الى القبول بمطالبهم لئلا تتلف مناجمهم وتخرب بيوتهم

وقد استخرج من الفحم الحجري في البلاد الانكليزية ٢٦٤٬٤٣٣٬٠٠٠ طن سنة ١٩١٠ وعدد الفحامين فيها اكثر من مليون نفس وقد دخل منهم في اتحاد الفحامين اكثر من ستمئة

الف . والفحم الحجري قوام الصناعة والتجارة في البلاد الانكليزية فيستعمل منهُ فيها ١٦٧ مليون طن في السنة تستعملها فروعها المختلفة كما ترى في هذا الجدول

سكك الحديد تستعمل	١٣	مليون طن في السنة
وابورات السواحل	٠٢	» » »
المعامل (الفبريكات)	٥٣	» » »
المناجم	١٨	» » »
معامل الحديد وسائر المعادن	٢٩	» » »
معامل الترميد والخزف والزجاج الخ	٠٥	» » »
معامل غاز الضوء	١٥	» » »
للوقود في البيوت	٣٢	» » »
والجملة	١٦٧	» » »

فاكثر ما يستخرج من الفحم الحجري يستعمل في البلاد نفسها عدا ما يستعمل في السفن التجارية والحربية وهو نحو مليون طن ولذلك لم يكد اضراب الفحامين عن العمل ينتشر في البلاد الانكليزية حتى ارتفع ثمن الفحم ارتفاعاً فاحشاً واضطرت معامل كثيرة ان تقفل ابوابها وتترك عمالها من غير عمل لان لا وقود يحرك الآلات ولا تستطيع ان تجلب الفحم من البلدان الاخرى لان ثمنهُ يكون فاحشاً يزيل كل ربحها ويجعل اعمالها خاسرة

وقد كان لهذا الاعتصاب اثر سيء وضرر كبير في كل البلدان التي تجلب الفحم من البلاد الانكليزية فانهُ يصدر منها الى فرنسا نحو احد عشر مليون طن والى المانيا نحو عشرة ملايين طن والى ايطاليا ستة ملايين والى اسوج اربعة ملايين والى روسيا ثلاثة ملايين والى مصر مليونان ونصف مليون وكذا الى كلٍّ من اسبانيا والدانمرك والى هولندا مليونان وكذا الى الارجنتين . وكان ثمن طن الفحم في الاسكندرية في الصيف الماضي ١٧ شلناً فبلغ الآن نحو ٤٥ شلناً ولا نعلم الى اين يبلغ اذا استمرَّ هذا الاعتصاب فستبلغ خسارة القطر المصري السنوية من ارتفاع ثمن الفحم الى هذا الحد اكثر من ثلاثة ملايين من الجنيهات

ورب قائل يقول لقد اعتصب الفحامون في بلاد الانكليز ولكنهم لم يعتصبوا في غيرها من البلدان فلماذا لا تجلب الفحم من غيرها والجواب اولاً ان بلاد الانكليز اغنى البلدان في مناجم الفحم وفي يستخرج منهُ بالنسبة الى عدد سكانها كما ترى في هذا الجدول

يستخرج من الولايات المتحدة الاميركية نحو	٣٧٧	مليون طن
ومن بلاد الانكليز	٢٦٤	» »
ومن المانيا	٢١٥	» »
ومن النمسا والمجر	٤٩	» »
ومن فرنسا	٣٧	» »
ومن روسيا	٢٥	» »
ومن بلجيكا	٢٣	» »
ومن اليابان	١٥	» »

ثم ان مناجم الفحم الانكليزية قريبة من مسابكها ومعاملها فنفقات نقله الى المسابك والمعامل قليلة جداً والبلاد كلها سواحل ومرافيء فيسهل نقل الفحم منها الى غيرها وكان طن الفحم يباع في المنجم بتسعة شلنات وينقل الى الاسكندرية ويباع فيها بسبعة عشر شلناً بعد ان تضاف اليهِ اجرة الشحن والتفريغ وربح تجار الصادرات وتجار الواردات واجور المخازن فكان اجرة الشحن ليست شيئاً مذكوراً وهذا غير ميسور في بلاد اخرى كما هو ميسور في انكلترا الاَّ بلجيكا ولكن فحمها قليل لا يسد الاَّ سد جزء صغير من عُشر انكلترا

ومن المحتمل ان يوجد حل وقتي لهذا الداء داء اعتصاب النحامين بان تراقب المناجم من وقت الى آخر وتقلل الاجرة على الاماكن السهلة وتزاد على الاماكن الصعبة او بان تزاد الاجور كلها ولو ادّى ذلك الى زيادة كبيرة في ثمن الفحم لان الفحم الانكليزي رخيص جداً عند مناجمهِ يباع الطن منهُ بنحو اربعين غرشاً كما تقدّم او ان يقبل اصحاب المناجم بالحد الادنى ولو اخرجوا من العمل كل ضعيف ومتقدم في السن فيصير عالة على الحكومة ولكن هذا الحل لا يشفي الداء داء الاعتصاب والاضراب عن العمل ولا يدوم لان الذين يحرضون العمال على الاعتصاب ينتفعون من هذا التحريض مادياً او ادبياً فاذا لم يكفُّوا عن التحريض لم ينقطع الاعتصاب ولو كان تحريضهم خالياً من كل نفع الّا من العوائق ما يبطلهُ ولكنهُ نفع العمال من وجوه ولو اضرَّ بهم من اخرى ونفعهُ قد شفع فيهِ حتى الآن ولكننا نرجح ان ضررهُ سيزيد على نفعهِ حتى تضطر الحكومات الى الغاء عصابات العمال والضرب على ايدي زعمائها والاَّ تلفت الصناعة والتجارة ووقف دولاب الاعمال كلها وايضاحاً لذلك نقول

ان اقل اجرة يعطاها النحّام في اليوم ستة شلنات في شمالي ويلس وسبعة شلنات ونصف شلن في بعض كثيرة واقل اجرة يعطاها في سائر مناجم الفحم الانكليزية خمسة شلنات في اليوم

فاجور الفحامين اعلى جدًّا من الاجور التي يعطاها العاملون بالزراعة واعلى مما يكسبهُ الفلاحون الذين ارضهم لم ويكتسبون منها كل ما يستطاع اكتسابهُ بالعمل . ولما اضرب مستخدمو سكك الحديد عن العمل في العام الماضي لفاطر الفلاحون افواجًا على شركات سكك الحديد يطلبون ان يعملوا فيها بدل الذين اضربوا فلم يكن اضرابهم لان اجورهم لا تكفي لمعيشتهم ولا لانها اقل من اجور امثالهم بل لان زعماءهم اخذوا على انفسهم مقاومة اصحاب الاعمال بحق او بغير حق لمجرَّد ما في نفوسهم او لمكسب ينالونهُ

ويدَّعي هؤلاء الزعماء انهم ينتصرون العمَّال على اصحاب الاعمال ودعواهم هذه باطلة في الغالب لان صاحب المنجم او المعمل لا يدفع اجور العمَّال من جيبهِ بل من الثمن الذي يبيع بضاعتهُ به فاذا اعطى الفحام الذي يستخرج طنًا من الفحم ستة شلنات في اليوم حينما كان يبيع الطن بعشرة شلنات فانهُ يبيعهُ باكثر من ذلك اذا اعطى الفحام سبعة شلنات . فالذي يدفع الاجور حقيقة هو الذي يستعمل الفحم لا صاحب المنجم . وربح اصحاب المناجم قليل جدًّا فان متوسط ايجارها نحو ثمنية شلن عن كل طن وعشرهُ يعود الى الحكومة مع ضريبة الايراد . وربا رأس مال الشركات قليل جدًّا فبعض شركات المناجم لا تربح ثلاثة في المئة ربًا لرأس مالها . والربح الصافي لشركات مناجم الفحم قليل ايضًا حتى ان بعضها لا يربح شيئًا فوق ربا رأس مالهِ

فصار الخلاف لذلك بين الفحامين والذين يستعملون الفحم فاذا رأى الفحامون كلهم باراداتهم واختيارهم ان لا يستخرجوا الفحم ما لم تتضاعف اجورهم لم تتعذر اجابتهم واغلاء سعر الفحم ولكن بعضهم يطلب زيادة الاجرة او يضرب عن العمل وبعضهم لا يطلب ذلك والفريق الاول يضطر الثاني ان يشاركهُ في الاضراب عن العمل واذا شاركهُ اضطرت المعامل المختلفة ان تتوقف ويقيم عمالها من غير عمل فيكون الفريق الاول قد اضرَّ بالفريق الثاني وبعمال سائر المعامل . وهذا اعتداء محض تُسأل الحكومة عنهُ وتضطر الى منعهِ بالقوة

وما قيل في اعتصاب الفحامين في بلاد الانكليز يقال عن كل اعتصاب في كل البلدان وفي هذا القطر ايضًا فان العامل حرٌّ ان يمتنع عن العمل او يُعطى الاجرة التي يطلبها ولكن لا يجوز لهُ ان يمنع غيرهُ عن العمل مطلقًا واذا حاول ذلك وجب ان يُمنع عنهُ بالقوة

والذين يحرضون العمال على الاعتصاب يفضي تحريضهم الى منع بعض العمال عن العمل رغمًا عنهم فهم مسئولون لهذه الجريمة ومساعدون عليها ومشاركون فيها فيجب ان يؤخذوا بها كمرتكبيها بل ذنبهم اكبر لانهم يفعلون ما يفعلون عن قصد وروية واصرار واذا لم تقم الحكومات كلها لمقاومة زعماء الاعتصاب فالعمران كلهُ في خطر